معالم التلاقي بين الفلاسفة المسلمين والأصواتيين المحدثين
ــ دراسة في المصوّتات العربية ــ

Convergence parameters between muslims philosophers and modern phoneticians
-Study of Arabic phonemes

أ. نصيرة شيادي*

(ج . تلمسان)

تاريخ الإرسال:2018/01/11 تاريخ النشر:2018/05/3

توطئة: لاشكّ أنّ الاهتمام بالصّوت والأصوات اللّغويّة ليس جديدا وإنّما هو قديم قِدم النّطق الإنساني. وقد اهتمّ به القدماء من الهنود واليونانيين إلاّ أنّ اهتمام الهنود كان أوسع وأدقّ، ولم يُضارع الهنود في ذلك إلاّ العرب فللعربيّة تفرّد في مجال الأصوات يشهد به أهلها وحتّى الأجانب عنها، فلقد أشاد بعض الباحثين الغربيين بجهود العرب في علم الأصوات على الرّغم من قلّة الإمكانات وعدم وجود الآلات الحديثة التي توفّرت للمحدثين . يقول برجشتراسر الألماني" لم يسبق الغربيين في البحث الصّوتي إلاّ قومان من أقوام الشّرق وهما الهنود والعرب"[1]ويقول فيرث: " إنّ علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدّستين هما السّنسكريتية والعربية ."[2]

وللفلاسفة المسلمين أثر كبير في بناء الصّرح العلميّ عند العرب وذلك لما قدّموه من ثقافة كبيرة أغنت الفكر الإنساني عموما والعربي على وجه الخصوص . فعلى الرغم من تأخّر الحقبة الزمنية التي يقع فيها الفلاسفة المسلمون إذا ما قيسُوا بغيرهم من دارسي الأصوات اللّغويّة، إلاّ أنه لا يُمكن لأحدٍ من الدّارسين أن ينكر

* norasjp17@gmail.com

التطور الصّوتي الذي أحدثته المدرسة الفلسفية في دراسة الأصوات، فلقد ميّزوا بين الصّوامت، والمصوّتات وأدركوا مخارجهما وصفاتهما، كما أحسّوا بالقيمة المعنوية لأصوات اللغة، وبنية ألفاظها وخصائص المواد المشكلة لها. ذلك ما يشير إليه ابن رشد (595 هـ) في قوله: "وإنّما صارت الألفاظ والأصوات تفعلُ في هاتين الصّناعتين (الخطّابة والشعر) هذا الفعل من جهة أنّها تخيّل في المعنى رفعة أو خسّة . وبالجملة أمرا زائدا على مفهوم اللفظ مثل غرابة اللفظ فإنها تخيّل غرابة المعنى والنغم كذلك يفيدُ فيه هذا المعنى أيضا ."[3]

وعلى نهجِ الفلاسفة المسلمين سارَ الأصواتيون المحدثون. فنجدُ من معالم التّلاقي في المجال الصّوتي الكثير من ذلك المصوّتات العربية التي وجدَ الفلاسفة المسلمون صعوبة في دراستها ممّا جعل إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) لم يعنوا بها ونظروا إليها على أنها تابعة للصّوامت لا تستقلّ بنفسها في النطق كاستقلال الأصوات الصّامتة .[4]

ويقول ابن سينا (ت 428 هـ): " أمّا المصوّتات فأمرها وتأثيرها عليّ كالمشكل".[5] ونظر ابن رشد للمصوّتات نظرة سطحية مانحا الأولوية للحروف غير المصوّتة يقول: "وبالجملة فينبغي أن تعلمَ أنّ الصوت يحدث من شيئين: أحدهما ما ينزل منزلة المادة وهو الذي يسمى حرفا غير مصوت والثاني منزلة الصورة وهو الذي يسمى حرفا مصوتا ويُسميه أهل لساننا الحركات وحروف المد واللين ." [6]

فالحروف غير المصوّتة هي المادة والمصوّتات هي الصورة والأولَى في نظر ابن رشد الاهتمام بالمادة لأنّ الصورة أمر ثانوي.

وإذا عُدنا لآراء الأصواتيين المحدثين فيما يخصّ صُعوبة المصوّتات فهم لا يخرجون عمّا قرّره الفلاسفة المسلمون يقول كمال بشر: " الحركات في كلّ اللغات تُمثّل صُعوبة ظاهرة في الدرس النّظري وفي الأداء الفعلي لها أيضا ذلك أنها

تختلف اختلافا كبيرا باختلاف اللغات، واختلاف البيئات، واختلاف الأفراد في البيئة الواحدة ."[7]

ويُصرّح المستشرق الألماني (برجستراسر) بصعوبة المصوّتات يقول: "فللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الأصوات الصامتة، غير أنّ تحديدها وتمييزها مشكل"[8].

ويُرجع (إبركرومبيAbercombie) صعوبة المصوّتات لخلوّها من ظاهرة الاحتكاك التي يمكن أن تكون وسيلة جيّدة لتبيّن مواضع إحداث الأصوات اللّغويّة من نحو ما هو حاصل في الصّوامت[9].

إنّ صعوبة دراسة المصوّتات لم تمنع الفلاسفة المسلمين والأصواتيين المحدثين من دراستها. فلقد نظر الفلاسفة للمصوّتات على أنّها طائفة مميّزة من الأصوات اللّغويّة لها خصائص بعينها في البنى اللّغويّة من قبل صفاتها الصوتية وسُلوكها في التأليف ووظيفتها اللّغويّة وكثرة شُيوعها. يقول الكندي (ت 256 ه) "إنّ المصوّتة أكثر الحروف بالطّبع في كلّ لسان ."[10]

وفي تصوير رائع منه يُبيّنُ لنا الكندي قيمة الحروف المصوّتة والفرق بينها وبين الحروف التي ليست بمصوّتة فيعتبرُ الأولى موضوعا والثانية صورة لكلّ لسان يقول: "إذا كانت الحروف المصوّتة كالموضوع لكلّ لسان والتي ليست بمصوّتة كالصورة لكلّ لسان، وكانت الصور الكثيرة تعتقبُ الموضعَ الواحدَ كالذهب الذي هو موضوع لحُليّ وأوانٍ كثيرة فإنّه قد يكون من الذهب التاج والإكليل والسّوار والجام والكأسُ وغيرُ ذلك من الحلي والأواني. فالذهب في أواني الذهب أكثرُ من جميعِ الصور المعتقبةِ له. فكذلك الحروف المصوّتة التي هي موضوع لكلّ نوعٍ من الكتب هي أكثر في كلّ لسانٍ من التي ليست بالمصوّتة..."[11]. فدورُ المصوّتات مميّز جدّا لأنّ الصّوامت لا تُنطقُ بمعزلٍ عنها، كما أنّها تُساعدها على الاتّصال ببعضها.

من هذه التّوطئة المختصرة نلحظُ معالمَ التّلاقي بين الفلاسفة المسلمين والأصواتيين المحدثين ظاهرة جليّةً. فهل التّلاقي بين الطّائفتين في مجال دراسة المصوّتات العربية سيستمرّ أم أنّ هناك معالم اختلاف؟ هذا ما سنُحاول الإجابة عنه من خلال ثلاثة عناصر: في تعدّد المصطلح، مخارج المصوّتات، صفات المصوّتات.

1 ــ في تعدّد المصطلح: لقد استعمل الأصواتيون المحدثون عدّة تسمياتٍ وألقاب للدلالة على المصوّتات العربية، من ذلك نذكر: أصوات المدّ واللين والحركات[12] وهي مصطلحات شاع استعمالها عند الفلاسفة المسلمين[13] بالإضافة إلى مصطلح أصوات العلة [14] والطّليقات[15] والصّوائت[16].

ومع تعدّد المسمّيات يبقى مصطلح (المصوّت) الذي تبناه الفلاسفة المسلمون هو الأصوب حيث يُقرّ (هنري فليش) أنّ استعمال مصطلح (المصوّت) أقوى في الدلالة من المصطلح الشائع في الدراسات الحديثة (الصّائت) " فالصائت من حيث صيغته يعني المتّصف بالتّصويت في ذاته أمّا المصوّت فيعني من هذه الوجهة ذلك أوّلا كما يعني أنّه يمنح التصويت لغيره "[17]. ويقول (كمال بشر) أنّه على الرّغم من أنّ جملة الدارسين القدامى قصروا استخدام مصطلح (المصوّتات العربية) على حروف المدّ (الحركات الطويلة) وحدها فإنّ هذا لا ينفي سمة التأثير السمعي القوي عن الحركات القصار (الفتحة و: الضمّة والكسرة) كما ينبئ عن ذلك بوضوح ما قرره الفارابي (ت 339هـ) "والمصوّتات منها القصيرة ومنها الطويلة والمصوّتات القصيرة هي التي يسميها العرب الحركات" [18] وأكّده الدرس الصوتي الحديث[19].

إنّ تعدّد المصطلح لم يمنع من أن تكون نقطة التلاقي بين الفلاسفة المسلمين والأصواتيين المحدثين هي عدد المصوّتات الذي قدّر بستة ثلاثة طويلة وثلاثة قصيرة عند كلا الفريقين .[20]

2 ــ مخارج المصوّتات: حدّد علماء الدراسات الصّوتية الحديثة موضعَ نُطــق المصوّت بوضع اللّسان وضعًا معيّنا في الفم اتّجاه الحنك الأعلى، وبدرجة ارتفــاع اللّسان أو هبوطه، أو استوائه يتحدّد المصوّت ويُصنّف.

أ ــ مخارج المصوّتات الكبرى أو الطويلة: وهي ألف المد وواو المــد ويــاء المد.

الألف: تُنطق بانبساط الشفتين مع فتحهما واســتمرار خــروج الهــواء لحظــة قصيرة.[21] ويأتي الألف مصوّتا دائما على عكس الواو والياء. وهو صوت يتّســع معه المخرج ويكون معه التجويف الفموي كبيرا جــدا [22]. لــذلك نعتــهُ الفــارابي بالتسفّل يقول: "إمّا الطرف العالي وهو الألف" [23]. ويصف (ابن سينا) محبس الألف بقوله: "وأمّا الألف المصوّتة فأظنّ أنّ مخرجها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم" [24]، فالهواء أثناء خروجه مع صوت الألف لا تعترضه أيّ عقبة في أيّ نقطة مــن نقاط القناة الصّوتية. كما أنّ اللّسان يهبط إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم بحيث يستوي في قاع الفم .[25]

ورأى الفارابي أنّ الألف تمتزجُ مع الواو والياء في قوله: " والممزوجة إمّــا ممزوجة من الألف والياء وإمّا من ألف وواو" [26]. ولعلّ الفارابي يريد هنا ظاهرتي إمالة الألف نحو الياء ونحو الواو حيث يسمي هنا ألف التفخيم. فأشار إلى ذلك دون أن يُفصّل عكس النحاة واللغويين[27].

الواو: تُنطق باستدارة الشفتين مع ضمّهما في فتحة واستمرار خُــروج الهــواء منها لحظة قصيرة [28]. فحجمُ الفراغ الفموي داخل الفم مع الواو أقلّ شساعة مــن الألف ممّا دعا إلى تسميته بالمتوسط. يقول الفارابي: "وإمّا المتوسط وهو الواو".[29]

ويحدد ابن سينا محبسها كالآتي "وأمّا الواو المصوّتة فأظنّ أنّ مخرجهــا مــع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق" [30].

فالهواء مع الواو المصوّتة وعلى غرار الألف المصوّتة يتعرّض للتّضييق الذي سببه ارتفاع في اللّسان ولكن ابن سينا لم يوضّح أيّ جزء من اللّسان الذي يرتفــع.

وفي حقيقة الأمر أنّ الجزء الخلفي من اللّسان هو الذي يرتفع نحو الجزء الخلفي من الحنك، أو ما يطلق عليه الطّبق اللّيّن Soft palate .[31]

الياء: تُنطق بانبساط الشفتين واستمرار خُروج الهواء منها لحظة قصيرة[32] ويرى ابن سينا أنّ الياء المصوّتة "مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل"[33]. فالياء أيضا يجد معها الهواء تضييقا وابن سينا أيضا لم يُوضّح أيّ جزء من اللّسان الذي يرتفع وفي الواقع أنّه مع صوت الياء يرتفع الجزء الأمامي من اللّسان نحو الجزء الأمامي من الحنك. أو ما يُطلق عليه الطّبق الصّلب Hard palate [34]. فالياء يحدث معها تضييق داخل الفم أكبر منه مع الواو.[35] ولعلّ هذا الذي أراد الفارابي أن يُعبّر عنه لكن دونما تفصيل أو إشارة، فقال: "وإمّا الطرف المنخفض وهو الياء" [36].

ب ــ مخارج المصوّتات الصّغرى أو القصيرة: وهي الألف والواو والياء القصيرة أو الحركات.

الفتحة: تتخذ الشفتان وضع الانبساط واللّسان يكادُ يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه[37]. وقد اعتبر ابن سينا محابس المصوّتات الصّغرى من نفس محابس المصوّتات الكبرى. يقول عن مخرج الفتحة "وأمّا الألف المصوّتة وأختها الفتحة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم" [38].

وفي الرواية الثانية يقول: " لكنّي أظنّ أنّ الألف الصّغرى والكبرى مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم " **[39]**. واكتفى ابن رشد بالقول إنّ مُخرج الفتحة يتوسط مُخرج : الضمّة التي هي قريبة من الحلق ومن مُخرج الكسرة" [40] وأولى الرازي عناية كبيرة للمصوّتات حيث اهتمّ بإبراز دور الشفتين ووضعية اللّسان أثناء إنتاجها [41] يقول عن مصوّت الفتحة: "من أراد التلفظ بالفتحة فإنه لا بدّ له من فتح الفم بحيث تنتصبُ الشفة العليا عند ذلك الفتح " [42] ؛ أيّ أنّ الشفتين مع الفتحة تنفتحان، وتتّخذان وضع الاستواء الذي هو الانتصاب. والاستواء في كلام العرب

قد يكون بمعنى الانتصاب[43]. ويضيفُ قائلا: " ثم الفتحة يكفي فيها عملٌ ضعيف لتلك العضلة الصلبة الواصلة إلى طرفي الشفة "[44]

الضمّة: تتّخذ الشفتان شكل الاستدارة، واللّسان داخل الفم في وضع بين المستويين السّابقين.[45] ؛ أيّ ارتفاع الجزء الخلفي من اللّسان نحو الجزء الخلفي من الحنك أو ما يطلق عليه الطبق اللين (Soft palate)[46]. يقول ابن سينا عن مخرج: الضمّة "وأمّا الواو المصوّتة وأختها: الضمّة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق"[47].

ويُؤكّد نفس الحقيقة في روايته الثانية قائلا: "والواو ان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين واعتماد في الإخراج على ما يلي فوق اعتمادا يسيرا" [48].

ويقول ابن رشد عن: الضمّة: "يوجد مخرجها أبدا في الحرف الواحد بعينه مُتقدما على مخرج الفتحة والكسرة فيه، أعني أنّها أقرب إلى الحلق في المخرج... ولما كان مخرج: الضمّة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة ..." [49].

ووضّح الرازي أنّ من أراد "التلفّظ ب: الضمّة فإنه لا بدّ له من ضمّ شفتيه أولا ثم رفعهما ثانيا"[50]. كما أشار إلى دور الشفتين في إنتاج مصوّت: الضمّة قائلا: "أثقل الحركات: الضمّة، لأنّها لا تتمّ إلاّ بضمّ الشفتين، ولا يتمّ ذلك إلاّ بعمل العضلتين الصّلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة"[51].

الكسرة: تتّخذ الشفتان وضعَ الانبساط واللّسان في أعلى مُستوى له من الارتفاع[52]. أيّ؛ يرتفع الجزء الأمامي من اللّسان نحو الجزء الأمامي من الحنك أو ما يُطلق عليه الطبق الصلب (Hard palate) مع انفراج الشفتين[53].

ويصف ابن سينا مخرج الكسرة بقوله: "وأمّا الياء المصوّتة وأختها الكسرة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل"[54]. ويُضيف قائلا: "والياءان تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلا" [55].

ويُوضّح الرازي أنّ من أراد أن يتلفّظ بالكسرة "فإنه لا بدّ له من فتح الفم فتحا قويّا. والفتح القويّ لا يحصل إلاّ بانجرار اللّحى الأسفل وانخفاضه. فلا جرم يسمّى ذلك جرّا وخفضا وكسرا لأنّ انجرار القوي يُوجبُ الكسر"[56]. ويُضيفُ قائلا: "وأمّا الكسرة فإنّه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية"[57]. فمع الكسرة تعملُ عضلة واحدة وهي الشفة السّفلى مع انفتاح الشفتين فتحا قويّا ولا يتأتّى إلاّ بانسحاب اللّحى وانجرارها إلى أسفل كما قال الرازي.

في ضوء ما تقدّم يُمكنُ القول إنّ الفلاسفة المسلمين أدركوا مخارج المصوّتات وبشكل دقيق رغم اعترافهم بصعوبتها. حيث مكّنهم حسّهم المرهف وخبرتهم الكبيرة أن يصفوا المصوّتات وصفا دقيقا قارب معطيات الدرس الصوتي الحديث. وإذا كانوا قد تحدّثوا بإسهاب نوعا ما عن مخارج المصوّتات فإنّ حديثهم عن صفاتها كان مختصرا جدا حيث لم يخصّصوا دراسة يعرضونَ فيها لصفات المصوّتات.

وعليه كان لزاما أن نستخرج صفاتها من وصفهم لمحابسها.

3 ــ صفات المصوّتات: رغم إحساس الفلاسفة بقيمة المصوّتات إلاّ أنّ صفاتها لم يتعرّض لها الكثير منهم لاحتلالها الشكل الثانوي في الكتابة. فالمصوّتات في اللّسان العربي إنّما تظهرُ في الخطّ إذا كانت عِظامًا؛ أيّ طويلة فأمّا صغارها أي القصيرة أو الحركات فإنها لا تظهرُ في الخطّ العربي إلاّ أن تكون في أوّل الكلمة أو الصفة أو التصريف أو آخرِ ذلك. فإنّ واو(مُحمّد) التي فيما بين الميم والحاء لا تظهر في الخطّ العربي لأنها صغيرة وكذلك ألف (محَمد) التي فيما بين الحاء والميم الأخرى وألفه التي بين الميم والدال فإنّها صغار فلذلك لم تظهر في الخطّ. فجميعُ المصوّتة الصغار تسقط في الخطّ العربي" [58].

أ ــ ثقلُ المصوّتات: لقد قدّم الرازي ترتيبا للمصوتات القصيرة وفقا لعملِ عضلاتِ الشفتين فيرى أنّ: " أثقل الحركات: الضمّة لأنّها لا تتمّ إلاّ بضمّ الشفتين.

ولا يتمّ ذلك إلاّ بعملِ العضلتين الصّلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة. وأمّا الكسرة فإنّه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عملٌ ضعيف لتلك العضلة، وكما دلّت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه فالتجربة تُظهره أيضا"[59] فالضمّة أقوى الحركات لأنّها تُعمل العضلتين معها ولعلّه يقصدُ عضلة الشفة العليا وكذا السفلى ثم تليها الكسرة التي تعملُ معا عضلة واحدة. وأغلبُ الظنّ أنّها الشفّة السفلى لتجرّ معها اللّحى كما شرح أثناء تبيان مُخرجها وعلى العكس من ذلك تنتصبُ الشفة العليا مع الفتحة لكن ومع ذلك فإنّ عمل عضلتها لا يكون قويّا[60].

ب ــ الاختلاف في الكميّة: لقد أحسّ الفلاسفة المسلمون كما يُحسّ المحدثون اليوم بأنّ الفرق بين المصوّتات الطويلة والمصوّتات القصيرة لا يعدو أن يكون فرقا في الكميّة لا في الكيفية، بمعنى أنّ وضع اللّسان في كليهما واحد ولكنّ الزمن يقصر ويطول في كلّ صوت فإن قصر كان الصوت قصيرا وإذا طال كان الصوت طويلا. فعندَ إشباعِ الحركة ينتجُ لنا الصوت الذي هو بعض منه. فعند إشباع الفتحة نحصل على الألف وعند إشباع: الضمّة نحصل على الواو وعند إشباع الكسرة نحصل على الياء[61].

وهذا ما أقرّه الفارابي في قوله: "... وتمدّ حركته حتى يصيرَ مصوّتا طويلا يمتدّ مع النغمة[62]. فالفارابي يُنبّه إلى أنّ المصوّتات القصيرة لا تختلف عن الطويلة إلاّ في عدمِ الامتداد قال: "وأمّا المصوّتات القصيرة فإنّها لا تمتدّ مع النغم ما دامت على قصرها فإذا ساوقت النغمة امتدّت حتى لا يُفرَقَ بينها وبين الطويلة" [63]. ونفس الحقيقة اهتدى إليها ابن سينا حيث بيّن أنّ المصوّتات الكبرى لا تختلف عن الصغرى إلاّ في الكميّة يقول: "ولكنّي أعلم يقينا أنّ الألف الممدودة المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصحّ فيها الانتقال من حرف إلى حرف وكذلك الواو المصوّتة إلى: الضمّة والياء المصوّتة إلى الكسرة"[64].

وفي الرواية الثانية يقول: "وكلّ صغرى فهي واقعة في أصغر الأزمنة، وكلّ كبرى ففي أضعافها" [65].

فقد أصاب ابن سينا في إشارته إلى كمّية المصوّتات الطّويلة بالنّسبة لكمّية المصوّتات القصيرة بحيث لا تنحصر كمّية المصوّتات الطّويلة في ضعف كمّية المصوّتات القصيرة بل تقع في ضعفها في مواطن وتتجاوز ضعفها في مواطن أخرى. ونسبة زيادة كمّية المصوّتات الطّويلة عن ضعف كمّية المصوّتات القصيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضّعف[66].

ويقول (جان كانتينو) في المدى الذي يستغرقه طول الحركة "يُطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتدّ فيها إخراج النفس امتدادا يصيرُ معه مدى النطق بها مساويا لمدى النطق بحركتين بسيطتين بل وقد يتعدّى ذلك" [67].

فإشارة ابن سينا تُبينُ إحساسه بتجاوز كمّية المصوّتات الطويلة لضعف كمّية المصوّتات القصيرة في بعض الحالات " فهي ضعف أو أضعاف".

ومن هنا فإنّ رأي ابن سينا أدقّ من آراء المحدثين[68] الذين جزموا بأنّ المصوّتات الطويلة تقعُ في ضعفِ المصوّتات القصيرة. فقد سُجّلَ على جهاز Spectrographe أنّ الفترة الزمنية لإنتاج الحركة القصيرة تساوي 300 د/ثا بينما تصلُ إلى 600 د/ ثا مع الحركات الطويلة (الألف والواو والياء المديتين)[69].

كما توصّل ابن رشد إلى نفس الحقيقة التي توصّل إليها ابن سينا، فبيّن أنّ المصوّتات الكبرى متولدة عن الصغرى بحيث متى زدنا في كميّة هذه الأخيرة بأن مددناها حدثت المصوّتات الكبرى، يقول: " فالمدّة الحادثة عن: الضمّة سميت واوا، وجُعل شكلها شكل الواو في الخطّ لأنّها واو منطوق بها وكذلك الأمر في المدة الحادثة عن الفتحة جُعل شكلها في الخطّ شكل الألف وليست الألف المنطوق بها التي هي حرف بالحقيقة، والمدة الحادثة عن الكسرة جُعل شكلها ياء ولكونها مدّات سمّوها حروف مدّولين." [70] ولم يختلف كلام الرازي عن سابقيه بل نجده يُردّد

الفكرة ذاتها من ذلك قوله: " الحركات أبعاض المصوّتات والدليل عليه أنّ هذه المصوّتات قابلة للزيادة والنقصان، ولا طرف في جانب النقصان إلاّ هذه الحركات. ولأنّ هذه الحركات إذا مدّت حدثت المصوّتات وذلك يدلّ على قولنا" [71].

ج ــ امتدادُ النغم: لقد اعتبر الفارابي المصوّتات الطويلة يمتدّ معها النغم بعكس القصيرة التي لا يمدّ معها الصوت لأنّ هذه الأخيرة إذا مُدَّ معها تحوّلت إلى نظائرها الطويلة يقول: "ويُجمع إلى هذه من غير المصوّتات الممتدة ... وأمّا المصوّتات فإنها لا تمتدّ مع النغم ما دامت على قِصرها[72].

د ــ الوضوح السّمعي: رغم الصعوبة التي واجهها الفلاسفة في فهم عمل جهاز النطق أثناء حدوث المصوّتات إلاّ أنهم راعَوا طبيعتها وقوة وُضوحها في السمع، فتوصّلوا لأهمّ صفة لجهاز النطق أثناء ذلك وهي حرية خروج الهواء وعدمَ وجود أية إعاقة في جهاز النطق أثناء إحداث المصوّتات عامّة. وهو ما عبّر عنه ابن سينا بخروج الهواء سلسا غير مزاحم[73].

وفي نفس الصّدد يقول (جان كانتينو): "تختصّ الحركات بانعدام قيام الحاجز في جهاز التّصويت فيمرّ النّفس المجهور حرّا طليقا عند النّطق بها"[74].

ورغم أنّ الفلاسفة لم يشيروا إلى مصطلح الوترين الصوتيين ودورهما في حالة النطق بالمصوّتات إلاّ أنّ تصريحهم بخلوّ مجرى الهواء أثناء النطق بها جعل المحدثين يتوصلون إلى اعتماد أصوات المدّ على اهتزاز الوترين الصوتيين الذي يولّدُ الجهر فالصوائت كلها مجهورة . [75]

ذلك أنّ الحركة لا يمكن أن تكتسب جانبها التميّزي وتؤدي وظيفتها داخل البنى اللّغويّة إلاّ إذا كانت مجهورة وإلاّ فإنّها لا تعدو أن تكون زفيرا EXPIRATION [76].

استنادا لكلّ ما تقدّم نستطيعُ أن نقول إنّ حديث الفلاسفة المسلمين عن المصوّتات العربية يقفُ على قدمِ المساواة مع معطيات الدرس الصوتي الحديث ونقاط التلاقي بين الفريقين فيما يخصّ هذه الطائفة من الأصوات ظاهرة جليّة وهذا وإن دلّ على

شيء وإنّما يدلّ على أنّ تُراثنا العربي يحتوي على مُدوّنة في الصوتيات العربية في أبهى صورتها والمطلوب هو الدراسة والجمع والترتيب والاجتهاد[77].

الهوامش:

[1] التطوّر النحوي للغة العربية: برجشتراسر، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3، 1417 هـ، 1997م، ص 11.

[2] اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين: نادية رمضان النجار، مراجعة وتقديم عبده الراجحي دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، دط، دت، ص 37.

[3] تلخيص الخطابة: تأليف: أبي الوليد بن رشد، تحقيق وشرح: محمد سليم سالم، الكتاب الرابع عشر القاهرة دط، 1387هـ، 1967 م، ص 530.

[4] البحث اللغوي عند إخوان الصفا.

[5] أبو السعود أحمد الفخراني، مطبعة الأمانية، مصر، ط 1 1411هـ،1991 م، ص 225.

[6] رسالة أسباب حدوث الحروف: الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مراجعة وتقديم: شاكر الفحام أحمد راتب النفاخ مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط 1 1403 هـ، 1983 م، ص 85 126 .

[7] فن الشعر لأرسطو طاليس مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد: ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية القاهرة، دط، 1953 م، ص 235.

[8] علم الأصوات: ص كمال بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط، 1420هـ، 2000 م، ص 419.

[9] التطور النحوي للغة العربية: ص 62.

[10]Elements of general phonetics , by: David Abercombie , Edinburgh university press,1967, p55

[11] رسالة في استخراج المعمى: للكندي ضمن كتاب: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم: محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان، تقديم: شاكر الفحام مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ 1987 م، ص 236 وينظر: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ص 128 .

[12] رسالة في استخراج المعمى: ص 215.

[13] الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 4، 1971 م، ص 30 ــ 37 وينظر دروس في علم أصوات العربية: جان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي عربي صالح

القرمادي مشتريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس دط 1966م، ص 20 ــ 38 .

[14] مفاتيح العلوم، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، راجعه وعلق على حواشيه محمد كمال الدين الأدهمي، قام بطبعه وتصحيحه وترقيمه: عثمان خليل، مصر ط 1، 1349 هـ، 1930 م، ص 30 ــ 31، الضروري في النحو: القاضي أبي الوليد بن رشد تحقيق ودراسة: منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر والتوزيع مصر، ط 1،1421 هـ 2010 م، ص 221 ــ 222 والتفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1401هـ 1981 م،1 / 37 ــ38 ــ 53 ــ 54 وكتاب الموسيقى الكبير: أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة مراجعة وتصدير: محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دط دت، 2 / 1072، وفن الشعر لأرسطو طاليس مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد: ص 235 .

[15] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة ط 3، 1417هـ، 1997 م، ص 91، وينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسّان، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب، دط 1407 هـ 1986 م ص 136.

[16] الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، مطبعة دار الشرق، بيروت، ط 3، دت، ص 222 .

[17] الصوائت والمعنى في العربية ــ دراسة دلالية ومعجم ــ محمد محمد داود، دار غريب القاهرة دط، 2001 م، ص 15 وينظر: علم الأصوات، ص 217 ــ 424ودراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط ، 1418هـ، 1997 م، ص 135 .

[18] كتاب الموسيقى الكبير : 2 / 1072

[19] كتاب الموسيقى الكبير : 2 / 1072

[20] علم الأصوات: ص 424 .

[21] رسالة في استخراج المعمى: ص 236 ــ 237 وينظر: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم: ص 128 ــ 129 ــ 237 ــ 128 ــ 129ورسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 85 والضروري في النحو : ص 148وينظر: دراسة الصوت اللغوي ص 313وموسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2 1952 م، ص 144 .

[22] اللغة العربية آداء ونطقا وإملاء وكتابة: فخري محمد صلح، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 2 1994 م، ص 49 .

[23] الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين: رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه، أمينة طيبي كلية الآداب والعلوم الإنسانية سيدي بلعباس، 1425هـ، 2005 م، ص 163 .

[24] كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1073 .

[25] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 126.

[26] الأصوات اللغوية: ص 32 .

[27] كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1073 .

[28] الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين: ص 164 .

[29] اللغة العربية آداء ونطقا وإملاء وكتابة: ص 49 ــ 50 .

[30] كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1073.

[31] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 126.

[32] في الأصوات العربية ــ دراسة في أصوات المد العربية ــ غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة بغداد دط، 1984م، ص 29 .

[33] اللغة العربية آداء ونطقا وإملاء وكتابة: ص 50 .

[34] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 85 ــ 126 .

[35] في الأصوات العربية ــ دراسة في أصوات المد العربية ــ ص 29 .

[36] كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1073.

[37] كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1073.

[38] اللغة العربية آداء ونطقا وإملاء وكتابة: ص 48وينظر: علم الأصوات، ص 466، والأصوات اللغوية: ص 37 والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ص 92).

[39] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 85.

[40] المصدر نفسه: ص 126 .

[41] الضروري في النحو: ص 148.

[42] الصوائت عند فخر الدين الرازي ــ دراسة تطبيقية في التفسير الكبير ــ خثير عيسى بوخاتم مولاي علي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر دط 2008 م ــ 2009 م، ص 60 .

[43] التفسير الكبير: 1 / 55.

[44] المصدر نفسه: 2 / 169 .

[45] المصدر نفسه: 1 / 54 .

[46] اللغة العربية آداءونطقا وإملاء وكتابة: ص 48 ــ 49 .

[47] علم الأصوات: ص 466 ، وينظر: الأصوات اللغوية: ص 37، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ص 93.

[48] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 85 .

[49] المصدر نفسه: ص 126.

[50] الضروري في النحو: ص 147 ــ 148.

[51] التفسير الكبير: 1 / 55 .

[52] المصدر نفسه: 1 / 54 .

[53] اللغة العربية آداء ونطقا وإملاء وكتابة: ص 48 .

[54] علم الأصوات: ص 227، وينظر: الأصوات اللغوية: ص 37 والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ص 92)

[55] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 85 .

[56] المصدر نفسه: ص 126.

[57] التفسير الكبير: 1 / 55 .

[58] المصدر نفسه: 1 / 54 .

[59] رسالة في استخراج المعمى: ص 236 ــ 237 وينظر: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم: ص: 129.

[60] التفسير الكبير: 1 / 54 .

[61] الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين: ص 169.

[62] الدرس الصوتي عند ابن الجزري: ميرفت يوسف كاظم المحياوي، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الأردن ط 1، 1431 هـ، 2010 م، ص 236وشرح طيبة النشر في القراءات العشر: أبي القاسم محمد بن محمد بن علي النويري تقديم وتحقيق: مجدي محمد سرور وسعد باسلوم دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ، 2003 م، 1 / 229.

[63] كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1121 .

[64] المصدر نفسه 2 / 1074 ــ 1075 .

[65] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 85 .

[66] المصدر نفسه: ص 126 .

[67] الحركات في اللغة العربية ــ دراسة في التشكيل الصوتي ــ زيد خليل القرالة، عالم الكتب الحديث إربد، لبنان ط1، 1325 هـ، 2004 م، ص 58.

[68] دروس في علم أصوات العربية: ص 145 ــ 146.

[69] القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين: سعيد محمد شواهنة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2007 م، ص 47.

[70] هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 1431هـ، 2010 م، ص 39.

[71] الضروري في النحو: ص 148 ــ 149.

[72] التفسير الكبير: 1 / 38.

[73] كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1074 .

[74] رسالة أسباب حدوث الحروف: ص 84 ــ 85 ــ 126.

[75] دروس في علم أصوات العربية: ص 148، وينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 135 وعلم الأصوات: ص 217، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ص 91.

[76] المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، 1426 هـ، 2006 م، ص 28 وينظر: دروس في علم أصوات العربية: ص 143وعلم الأصوات، ص 217والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ص 91.

[77] المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية: ص 28.